العرب
الخميس 2020/02/20
السنة 42 العدد 11623

كيف لأوروبا أن تقبل ما يفعله أردوغان؟

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

المقارنة بما يجري في سوريا، عند الحديث عن تدخل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالشأن الليبي، والتحذير من أن تنتهي ليبيا لتصبح سوريا ثانية، هو اعتراف من قبل الأوروبيين بفشلهم في التعامل مع المشكلة السورية، وخضوعهم للابتزاز الذي مارسه عليهم أردوغان، مستعملا سلاح اللاجئين.

الولايات المتحدة استمتعت برؤية قادة أوروبا في وضع العاجز، واكتفت بمراقبة ما يجري عن بعد، بعد أن زرعت جيوبا لها في المنطقة، وتأكدت من قدرتها على حماية مصالحها هناك.

لم يبق لمواجهة طموحات أردوغان سوى رجل روسيا القوي، الرئيس فلاديمير بوتين، الذي سارع لاستثمار الفرصة السانحة مثبّتا لروسيا موقعا يضمن لها مكانا استراتيجيا في المنطقة، خاصة بعد فشل إيران في لعب دور المنقذ، واختيار الأوروبيين التزام الحذر، خوفا من التورط الذي قد يتسبب بخسارتهم أصوات الناخبين.

أوروبا التي لدغتها الأزمة السورية، محقة اليوم في خشيتها أن تتحول ليبيا إلى سوريا أخرى على مرمى حجر منها، الأمر الذي سيترتب عليه استقبال المزيد من قوافل اللاجئين عبر البحر، والمزيد من الإرهاب داخل المدن الأوروبية

قرارات الحرب لا تتخذها الشعوب المترفة، والأوروبيون اليوم مترفون، أدمنوا حالة الرخاء الاقتصادي والاجتماعي، بعد الحرب العالمية الثانية، وتخلوا عن مستعمراتهم، واكتفوا بالسيطرة الاقتصادية عن بعد.

الدكتور كوستاس مافريديس، رئيس اللجنة السياسية للمتوسط في البرلمان الأوروبي، طرح خلال مشاركته في مؤتمر بروكسل الذي عُقد الثلاثاء، لمناقشة التدخل التركي في منطقة البحر المتوسط، السؤال الذي بقي مسكوتا عنه فترة طويلة: كيف لأوروبا أن تقبل ما يفعله أردوغان؟

ما هي الأشياء التي يفعلها أردوغان ويسكت الأوروبيون عنها؟

تحدث مافريديس عن سياسات التطهير العرقي، وعمليات القتل الجماعي، التي مُورست بمباركة من أردوغان، ووصفها بالسياسات العثمانية التوسعية، مشيراً إلى أن أردوغان يستخدم خطابات ومصطلحات عدوانية لم تستخدم حتى خلال الحقبة النازية.

وزير الخارجية الألماني، هايكو ماس، اعترف بالصمت والعجز الأوروبيَّين، وهو إن لم يصل إلى حد الإدانة إلا أنه وجّه انتقادا واضحا وصريحا للتقصير في مواجهة المخاطر، مؤكدا على أهمية انخراط الاتحاد الأوروبي في حل النزاع الليبي، محذرا في حال عدم انخراط الأوروبيين على نحو أقوى، من أن النهاية ستكون سوريا ثانية، مطالبا بالتعلم من أخطاء الأزمة السورية، منتقدا تقاعس المجتمع الدولي الغربي عن المساهمة في إيجاد حل للنزاع هناك.

ما هي النهاية التي آلت إليها سوريا، ويحذر منها الآن مسؤولون أوروبيون؟

على رأس القائمة، وضع رئيس اللجنة السياسية للمتوسط في البرلمان الأوروبي، سياسات الرئيس التركي أردوغان ونظامه، الذي دعم منظمات إرهابية مثل داعش والنصرة والإخوان المسلمين، مقدما لها العون اللوجستي والعسكري وكذلك السياسي في المحافل الدولية.

التدخل الروسي وحده هو ما وضع حدا لشهية أردوغان في سوريا، وحال دون أن تتحول الأخيرة إلى إمارة عثمانية، بعد أن خيّل للأوروبيين أن ما يحدث في سوريا هو امتداد للربيع العربي، وهو ما شجع المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، على قبول أعداد هائلة من اللاجئين ظنا منها أن إقامتهم لن تطول.

يعكس موقف ماس ليس فقط قلق ألمانيا، بل قلق أوروبا من فشل مؤتمر برلين بشأن ليبيا، وهو ما يفضح تراجع الدور الأوروبي في إدارة الملفات الإقليمية ومعالجة الأزمات الدولية، في وقت يزداد فيه إصرار تركيا على اقتحام الملف الليبي، تماما مثلما فعلت في الملف السوري.

هناك بالطبع ما يبرر المخاوف الأوروبية، التي برزت إثر تسلل أردوغان إلى ليبيا، فالأمر ليس فقط مجرد اتفاقية تعاون عسكري مع حكومة طرابلس، المشكلة أكبر من ذلك، وهي أن حكومة الوفاق تُدارُ من قبل الإخوان المسلمين، وتدعمها ميليشيات مرتبطة بمنظمات إرهابية.

أوروبا التي لدغتها الأزمة السورية، محقة اليوم في خشيتها أن تتحول ليبيا إلى سوريا أخرى على مرمى حجر منها. الأمر الذي سيترتب عليه استقبال المزيد من قوافل اللاجئين عبر البحر، والمزيد من الإرهاب داخل المدن الأوروبية.

الدكتور كوستاس مافريديس، أشار بذكاء إلى كتاب "الموت الاستراتيجي" لمفكر تركي يجلّه أردوغان ويحاول تطبيق نظريته في ما خص السياسة الخارجية، عبر إعادة إحياء السياسة العثمانية التوسعية.

ويعمل أردوغان على تطبيق هذه السياسة بحذافيرها في العالم الإسلامي منذ عدة سنوات، كما يقول كوستاس، وهو ما يضعه في مواجهة مباشرة مع باقي دول المنطقة. وبالتالي فإن هذه السياسة التوسعية التي لا تراعي القوانين الدولية هي جوهر المشكلة.

التدخل التركي في سوريا، والآن في ليبيا، يجسد مرحلة ما بعد سياسة "صفر مشاكل"، وهي مرحلة مليئة بالعقبات، وصفها الدكتور ماغنوس نوريل الباحث في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، بالسياسة التوسعية التي تهدد الأمن والاستقرار، خاصة مع تنامي خطر الإسلام السياسي، الذي يتمدد في شمال أفريقيا، على الرغم من سقوط ما يعرف بخلافة داعش.

ويرى ماغنوس أن أردوغان قد نجح في تجميع أعداد كبيرة من الإرهابيين في شمال أفريقيا، أكثر مما كان عليه الأمر في كل من سوريا والعراق، منبها إلى أن تركيا تستخدم المهاجرين لابتزاز الأوروبيين.

قد يشكل المؤتمر الذي شاركت فيه أكثر من 80 شخصية وجمعية من 22 دولة بينهم 15 دبلوماسياً يمثلون عشرة بلدان أوروبية ومتوسطية، فرصة للأوروبيين كي يتذكروا أن أكبر الخسائر والكوارث البشرية تسبب بها أشخاص من أمثال رجب طيب أردوغان.

لو فعلتها قطر

علي الصراف
كاتب عراقي

ذهب علي لاريجاني إلى لبنان ليقول إن إيران سوف تدعم لبنان، وهو يعرف أن بلاده على شفير الإفلاس. فاته أن يضيف أن إيران سوف تدعم لبنان من أموال قطر.

فمثلما كان رئيس مجلس الشورى الإيراني هو الأول الذي زار لبنان ليقدم الدعم المعنوي لحكومة حزب الله، فإن قطر هي البلد الخليجي والعربي الوحيد الذي وجّه الدعوة لحسان دياب لزيارته.

لا تملك إيران مالا لتقدمه للبنان. دعك عن أن يكون أي قرش تدفعه سيجعل حبل المشنقة أطول على نظام يعامل شعبه بالقهر والاستبداد، ويفرض عليه الفقر ليخدم تطلعاته التوسعية. ولكنها تملك في ما يبدو أن تضع يديها في كيس قطر، لتأخذ منه ما تشاء.

وهذه جريمة بحق القطريين أنفسهم في الأساس. وهي تعكس مدى الصلف والاستهتار الذي بلغته حكومة لا تملك من "السيادة" المزعومة إلا الرعونة.

هذا هو على وجه الحقيقة كل ما بقي من تلك السيادة: الحق في أن تتصرف برعونة لا تراعي قيما ولا أخلاقا ولا أي اعتبارات سياسية أو إستراتيجية. بل وتسدد الإهانة تلو الأخرى للملايين من الذين يطالبون بإسقاط أنظمة الطائفية والفساد.

ولقد سبق للرعونة ذاتها أن منحت تركيا 10 مليارات دولار، والكل يعرف أن رجب طيب أردوغان إذا كان يقود بلاده نحو انهيار اقتصادي جديد، فإنه يحوّلها إلى قوة عدوان صريحة في سوريا وليبيا والبحر المتوسط برمّته.

طبعا، ثمة "مقابل" اصطناعي لا تحتاجه قطر من الأساس: قواعد عسكرية تركية، إنما لتبرير الرعونة بالمال.

شركة قطر للغاز والإرهاب تملك من المال ما يكفي لتمويل كل المشاريع التخريبية والأعمال العدوانية التي يقترحها أي أحد. تركيا، إيران، جماعات الإخوان، أو تنظيمات الإرهاب، أي أحد.

طالما أن المال يؤدي غايته في تمويل التفكك السياسي والاجتماعي في المنطقة، فإن الوصول إليه يسير. هذا هو المعنى الوحيد للسيادة التي تتمسك بها قطر في مواجهة دول المنطقة التي تطالبها بالكف عن أعمالها الرعناء.

هل هناك من شك في أن أي مبلغ من المال تدفعه قطر لحكومة حزب الله في لبنان سيكون بمثابة تمويل مباشر للمشروع الإيراني، في واحد من أهم أجزائه؟ هل هناك من شك في أن تمويل هذه الحكومة يسدد صفعة على وجه كل لبناني يتظاهر ضد النظام الطائفي الذي تحولت إيران إلى راعيه الأول في لبنان؟ وهل هناك من شك في أن المال سيدخل في دوامة بلا قرار، وأنه لن يكفي من الأساس لإنقاذ اقتصاد الفساد في هذا البلد؟ أم أن المال سيذهب إلى إيران مباشرة؟

الحقيقة التي يعرفها الجميع هي أن حزب الولي الفقيه بات يموّل نفسه من أعمال الفساد التي أنهكت اقتصادا منهكا من الأساس، وهو يستولي على ما لا يقل عن 4 مليارات دولار سنويا من خلال سيطرته على المطار والموانئ والمعابر غير الشرعية، ومن أعمال التهريب والضرائب الموازية. لهذا السبب تمسّك هذا الحزب بتشكيل الحكومة حتى ولو لم تكن لتحظى بالثقة داخل البرلمان اللبناني نفسه.

ولكن هناك حقيقة أخرى ليست أقل إيلاما. فالوقت حرج، ونهب المال العام أصبح مطلوبا ليس لتمويل الحزب نفسه فحسب، وإنما لكي يدفع حزب الله جزءا منه إلى إيران أيضا. دون ذلك فنظام الولي الفقيه سوف ينهار.

المساعدة التي وعد بها لاريجاني، هي في الواقع، مجرد تورية، تقيّة، كذب، بل خداع مكشوف لحقيقة أن حزب الولي الفقيه هو الذي يساعد إيران بما ينهبه من مال. التبرير جاهز طبعا، وهو أن إيران التي تزود حزبها بالسلاح، تنتظر عائدا يفترض أن يعود إليها وقت الشدة.

لو فعلتها قطر وتولّت تزويد حكومة حزب الله في لبنان بما وعدها لاريجاني من مساعدات، فإن السّيل يكون قد بلغ الزبى، وأصبح سقوط نظام الحمدين حقا لكل قطري صاحب ضمير

الشيء نفسه يحصل في العراق. عمليات نهب الأموال هناك بلغت مستويات قياسية، إذ تقدّر "عائدات" إيران من تمويلات الميليشيات لها بأكثر من 20 مليار دولار سنويا، هي في الواقع التي تبقي نظام الولي الفقيه قائما على قدميه، أو جاثيا على ركبتيه، حتى الآن.

لا تسأل الدوحة ما هي ثمرة الدور الإيراني في العراق أو لبنان أو سوريا أو اليمن. كل الدنيا تعرف. ما من قطريّ إلا ويدرك ويرى. القطريون ليسوا عميانا إلى تلك الدرجة التي يتصورها نظام الحَمَدَيْن. ولو كانوا يعيشون برفاهية فإنهم ليسوا بلا ضمائر. القطريّون أشرف من ذلك الاعتقاد الذي ينظر إليهم على أنهم شعب يمكن أن يُخرسه المال عما تمارسه حكومتهم من أعمال تجاه شعوب المنطقة.

حتى ولو كانت شركة قطر للغاز والإرهاب، تبدو وكأنها تمارس "السيادة" بأعمالها تلك، فليس لإيران الحق في أن تمول مشاريعها وحكومات ميليشياتها بأموال القطريّون أحق بها، ولو بدّدُوها بما شاء لهم الهوى، دع عنك استثمارها في الخير والتنمية والبناء.

ما تفعله حكومة الدوحة غير صحيح. وهو لا أخلاقي بكل المقاييس. إنه جارح لكل يقظة ضمير.

خيلاء المال، قد تمنح الشيخ تميم القدرة على الفساد والإفساد، ليمشي في الأرض مرحا. إلا أنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. هناك حد.

لا بأس. يمكن لقطر أن تكون على خلاف مع أي دولة عربية. مجموعة دول، دفعة واحدة بالأحرى. لا بأس. الدول العربية يمكنها أن تتخاصم، فرادى أو جماعات. ولكن تمويل مشاريع تركيا وإيران ضد شعوب عدة دول، دفعة واحدة، أكثر من كثير.

لو فعلتها قطر، وتولّت تزويد حكومة حزب الله في لبنان بما وعدها لاريجاني من مساعدات، فإن السيل سيكون قد بلغ الزبى، وأصبح سقوط نظام الحمدين حقا مشروعا لكل قطري صاحب ضمير.

هذا نظام لا أحد يمكن أن يوقف رعونته عند حد، إلا القطريون أنفسهم. ليقولوا له: يكفي جرائم. يكفي تخريبا. ويكفي استهتارا.

إيران سرطان ينبغي استئصاله لا الحوار معه

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ما المطلوب إيرانيًا من العرب؟

أن يقبلوها كما هي. ذلك يعني أن يقبلوا بسياستها القائمة على التدخل في شؤونهم الداخلية. وتلك معادلة لا يمكن لدولة حيّة أن تكون جزءا منها. فإيران التي لا تتصرف مع العرب باعتبارها دولة تحترم قواعد العمل بالقانون الدولي، لن تتمكن من الوصول إلى لغة حوار معهم.

إيران تريد الحوار لكن من طرف واحد. تلك مهزلة تؤكد أن من يحكمون إيران يتحدثون عن السلام وفي أذهانهم الحرب. إنهم يعتبرون العلاقات بين الدول حلبة قتال، لذلك فإنهم ينظرون إلى الآخر من جهة قدرته على الرد العسكري ومطاولته في الحرب. وهو ما أفسد عقولهم السياسية، فصاروا يعتبرون الحرب أول الحلول لمشكلاتهم. لا يفكر الإيرانيون إلا في الحرب.

نظرة سريعة نلقيها على أتباعهم في العراق ولبنان واليمن تجعلنا على يقين من أن إيران لا تقدّم شيئا سوى أنها تعبّئ المجتمع متفجرات. لقد تحوّل أتباعها من شباب تلك الدول إلى ألغام. وإذا ما كانوا يحتلون مناصب رفيعة في دولة ما، وهو ما يجري واقعيا في العراق، فإن تلك الدولة تكون مهددة بالانفجار.

لقد تسبب الغسيل الطائفي في أن يتحول البعض من العرب إلى إيرانيين أكثر من خامنئي بحيث يطل المجرم قاسم سليماني على لبنان بتمثاله ليؤكد أن مشروعه في قتل العرب لا يزال قائما. وإذا ما كان حسن نصرالله قد روى حلمه الذي يتعلق بسليماني على الملأ، فلأنه يعرف أن هناك مَن يُنصتُ إليه عن جهالة وغباء وهوس طائفي.

ذلك بالضبط ما تريده إيران لنا. لذلك فإن أي حوار معها سيكون عقيما ومن غير جدوى.

تلك دولة كان عليها منذ زمن طويل أن تنسحب من الجمعية العامة للأمم المتحدة، فهي لا تؤمن بميثاقها الذي يدعو إلى السلام. هي دولة تقوم سياستها على الحرب.

وإذا ما كان البعض من سياسييها المخادعين يقترحون حوارا مع العرب، فإنهم ينسون أن بلادهم لم تقدم عبر أربعين سنة بادرة حسن نية. بل أن كل ما فعلته هو العكس من ذلك تماما.

ما حدث للعراق في ظل الهيمنة الإيرانية كان الأسوأ في التاريخ.

لقد نشر أتباع إيران الفساد في المجتمع وطبعوه، بحيث صارت كل مظاهر الفساد تشير إليهم من غير أن يتعرضوا للمساءلة بسبب الحماية الإيرانية. فالدولة العقائدية تحمي الفاسدين. هذا ما تراه إيران مناسبا لمجتمعات ترغب في تدميرها.

لا في الحاضر ولا في المستقبل يمكن أن تقوم علاقات سوية بين العالم العربي وإيران ما دام نظامها مصرّا على الاستمرار بسياساته الرثة والمبتذلة والخارجة على القانون الدولي.

وكما أرى فإن أوروبا قد تعبت من نفاقها السياسي. فالنظام الإيراني لا يمكن التعويل عليه. سيكون عليها دائما أن تواجه علاقتها به باعتبارها عارا على مستوى المفاهيم والقيم والمبادئ الإنسانية. فهو نظام لا يؤمن بالإنسان ولا بحقوقه ولا بالقانون الدولي الذي يضمن تلك الحقوق.

سيكون من حق الدول العربية التي تطلب إيران منها الحوار أن تعتذر بسبب غياب العوامل المشتركة. فلا يمكنك أن تتفاوض مع حيوان مفترس على شروط حياة سوية. إيران في ظل نظام الملالي هي ذلك الحيوان.

فلو كان الأمر بيد إيران لتحولت دبي إلى نوع من الضاحية الجنوبية ببيروت. ولو كان الأمر لإيران لأقام المصلون في جدة صلواتهم في أماكن رثة. ولو كان الأمر لإيران لتحول جامع محمد الخامس بالرباط إلى حسينية للّطم والردح والبكاء.

إيران هي سرطان ينبغي استئصاله لا الحوار معه.